الفلسفة الأخلاقية بين بوذا وكونفوشيوس

أ.م.د/ عزيزة عبد المنعم صبحى أحمد(*)

ملخص البحث:

يمثل بوذا وكونفوشيوس نموذجين أخلاقيين أثرا تأثيرًا كبيرًا في الفكر الأخلاقي والفلسفي اللاحق، ولم يكن تأثيرهما محليًا مرتبطًا بثقافتهما وعصرهما لكنه تجاوز الزمان والمكان وصولاً إلى يومنا هذا، حيث كان كل منهما، فضلاً عن كونه فيلسوفًا، مصلحًا أخلاقيًا، جعل من الأخلاق محور اهتمامه، ولقد ارتبطت الأخلاق لديهما بجميع جوانب فلسفتهما، ورغم انطلاقهما من حضارتين مختلفتين، ورغم ما بينهما من تباين، فإنهما التقيا في نقاط عدة، ربما كان أكثرها أهمية وارتباطًا بسياق هذه الدراسة، إنهما قد نظرا إلى الأخلاق بوصفها الطريق والغاية –ورغم اختلافهما في كيفية هذا النظر– فإنها تمثل لديهما – أي الأخلاق– الطريق إلى الكمال الروحي. لكن هل ما قدماه في النظر الأخلاقي يمكن أن يطلق عليه مسمى فلسفة؟

ومن هنا كانت إشكالية هذه الدراسة؛ هل تضمن الفكر الشرقي القديم فلسفة أخلاقية أم أنها لم تنشأ إلا مع فلاسفة الغرب بداية بسقراط –كما ذكر مؤرخو الفلسفة– و لم يكن الفكر الأخلاقي الشرقي، في مجمله، سوى مجموعة من الوعظ والإرشاد والتعاليم الأخلاقية، التي لم ترقَ بعد لأن يطلق عليها مسمى الفلسفة؟

Abstract

Buddha and Confucius represent two ethical models that greatly influenced subsequent ethical and philosophical thought. Their influence was not local, related to their culture and era, but rather transcended time and place to the present day. In addition to being philosophers, each of them was a moral reformer who made ethics the focus of his interest. Ethics was linked to all aspects of their philosophy, and despite their origins in two different civilizations and the differences between them, they met at several points, perhaps the most important and relevant to the context of this study, that they viewed ethics as the path and the goal - and despite their differences in how they viewed this - it represented for them - that is, ethics - the path to spiritual perfection. But can what they presented in ethical consideration be called philosophy?

the problem of this study; Did ancient Eastern thought include a moral philosophy, or did it only arise with Western philosophers, beginning with Socrates - as historians of philosophy have mentioned - and was Eastern moral thought, in its entirety, nothing more than a group of preaching, guidance, and moral teachings, which had not yet risen to the level of being called philosophy?

(*) أستاذ مساعد بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الإسكندرية

مقدمة

يمثل بوذا وكونفوشيوس نموذجين أخلاقيين أثرا تأثيرًا كبيرًا في الفكر الأخلاقي والفلسفي اللاحق، ولم يكن تأثيرهما محليًا مرتبطًا بثقافتهما وعصرهما لكنه تجاوز الزمان والمكان وصولاً إلى يومنا هذا، حيث كان كل منهما، فضلاً عن كونه فيلسوفًا، مصلحًا أخلاقيًا، جعل من الأخلاق محور اهتمامه، ولقد ارتبطت الأخلاق لديهما بجميع جوانب فلسفتهما، ورغم انطلاقهما من حضارتين مختلفتين، ورغم ما بينهما من تباين، فإنهما التقيا في نقاط عدة، ربما كان أكثرها أهمية وارتباطًا بسياق هذه الدراسة، إنهما قد نظرا إلى الأخلاق بوصفها الطريق والغاية –ورغم اختلافهما في كيفية هذا النظر– فإنها تمثل لديهما – أى الأخلاق– الطريق إلى الكمال الروحي. لكن هل ما قدماه في النظر الأخلاقي يمكن أن يطلق عليه مسمى فلسفة؟

ومن هنا كانت **إشكالية هذه الدراسة**؛ هل تضمن الفكر الشرقي القديم فلسفة أخلاقية أم أنها لم تنشأ إلا مع فلاسفة الغرب بداية بسقراط –كما ذكر مؤرخو الفلسفة– و لم يكن الفكر الأخلاقي الشرقي، فى مجمله، سوى مجموعة من الوعظ والإرشاد والتعاليم الأخلاقية، التي لم ترقَ بعد لأن يطلق عليها مسمى الفلسفة؟

ومن أجل الإجابة عن تلك الإشكالية نجد أنفسنا أمام خيارين؛ أولهما أن نتبنى الرأي القائل بأنه لا فلسفة قبل طاليس، هذا الرأى الذى تبناه كثير من الفلاسفة والمفكرين بداية بأرسطو، ومروراً بهيجل، ووصولاً إلى زيللر، وغيرهم. وإما أن نتبنى الرأي الثاني الذي يؤكد أن الحضارات الشرقية القديمة قد تضمنت العديد من المذاهب والأفكار الفلسفية التى إن لم تكن أكثر عمقاً، فإنها على أقل تقدير حاضرة بتأثيرها فى مجمل الفلسفة اليونانية، و يضرب هذا الرأي بعمق في مفهوم الإعجاز اليوناني، وهو الرأى الذى تبناه جورج سارتون و وول ديورانت، وغيرهما.

ورغم قناعتي بالرأي الثاني، فإني أرى أنه عوضاً عن خوض ساحة هذه المعركة الفكرية و الخلافية حول شرقية أو غربية الفلسفة، أرى لزامًا علينا نحن الشرقيون أن نتناول بالبحث والدراسة والتحليل، الأفكار والآراء والمذاهب الشرقية ونطرحها على ساحة الفكر لتكون موضع نقاش، نؤكد من خلاله هذا التوجه، ويكون هذا بمثابة الرد العملي والفعلي على مزاعم المركزية الأوروبية، هذا النقاش الذي قد يؤتي ثماره في الدرس الفلسفي اللاحق. ولا تستثنى هذه الدراسة من هذا المقصد .

أما **المنهج المستخدم** في هذه الدراسة؛ فهو المنهج التحليلى والمنهج النقدي.

تساؤلات الدراسة:

١- كيف يمثل كل من بوذا وكونفوشيوس ثورة أخلاقية قامت ضد القهر الاجتماعي والنظام الطبقي. وكيف جاءت تلك الثورة متجاوزة لأية سلطة ميتافيزيقية؟ وما ملامح الفكر الأخلاقي لديهما؟

٢- ما مفهوم الطبيعة البشرية لدى كل من بوذا وكونفوشيوس، وكيف ارتبطت بالفضائل، وهل في هذا إرساءً للفردية التي تغنت بها الفلسفة الغربية، أم كانت الفردية غائبة عن عقلية مفكرى الشرق القديم؟ وما مصدر الأخلاق لديهما، وما معيار صحتها؟

٣- ما مفهوم أخلاق الفضيلة لدى بوذا وكونفوشيوس وهل كانت الأخلاق لديهما -كما ذهب المحدثون- أخلاق نفعية أو عواقبية؟ وإن كان الأمر كذلك فما مظاهر هذه الأخلاق في فلسفتهما، وإن لم يكن، فما هي المبررات والأسباب التي تقف حائلاً دون هذا الوصف؟

هذا وقد جاءت هذه الدراسة فى محاور ثلاثة؛ أولها "ملامح الفكر الأخلاقى لدى بوذا وكونفوشيوس"، وأعرض من خلاله السمات العامة لفلسفتهما وفكرهما الأخلاقى ، وكيفية ارتباط الأخلاق لديهما بمذهبهما الفلسفى. أما ثانى محاور الدراسة والمعنون ب " الطبيعة البشرية و الأخلاق "، فأتناول فيه نظرة كل منهما إلى حال الطبيعة البشرية ودورها فى إثراء الفضائل الأخلاقية، وكيف كان الكمال الروحى هو مصدر الأخلاق وليست الميتافيزيقا. وثالث محاور الدراسة معنون ب "أخلاق الفضيلة" ، وأتحدث فيه عن طبيعة الأخلاق البوذية والكونفوشية، والجدل المثار حولها، كما أعرض أيضاً لمفهوم أخلاق الفضيلة .

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

أولاً: ملامح الفكر الأخلاقي في فلسفة بوذا(*) وكونفوشيوس(**):

يُعد بوذا وكونفوشيوس مفكرين استثنائيين ابتدعا أسلوب حياة فلسفي قائم على الأخلاق، و لابد أولاً وقبل العرض للملامح الرئيسة للفكر الأخلاقي في فلسفتهما أن أشير إلى دوافع التنظير الأخلاقي لديهما أو تجربتهما الأخلاقية، حيث كانت آراؤهما الأخلاقية نقداً لأوضاع ولحال مجتمعهما، فقد قام بوذا بثورة على النظام الطبقى البراهمانى الذى لم يؤسس فكراً أخلاقياً يخدم الإنسانية، وقد جاءت أفكاره مغايرة للكثير من التقاليد السائدة ، حيث النظام الطبقى والتفاضل بين البشر وفقاً لنشأتهم الأولى، هذا التفاضل القائم على تشبيه البراهمانية للمجتمع الهندى بجسم الإله الأعظم "براهما"، ومن ثم قسمت البشر إلى أربع فئات، وفئة خامسة منبوذة، الأولى منها رجال الدين (البراهمانس) ، وهم أشبه برأس الإله، والثانية؛ المحاربون (الكشترايا) ويشبهون ذراع الإله، والفئة الثالثة؛ التجار والزراع، ويشبهون ساق الإله، والرابعة؛ العبيد ويشبهون قدم الإله، أما الخامسة فتضم كل من هو خارج عن البراهمانية، فضلاً عن الجنود الأسرى، وعن هذا النظام ظهر القهر الاجتماعى والإنسانى، حيث استأثر رجال الدين والمحاربون بكل الامتيازات بينما حُرمت منها باقى الفئات، ولم يقتصر هذا على الجوانب السياسية والاجتماعية، بل امتد إلى نطاق الأخلاق، فالفضائل ليست للجميع، فمثلاً، فضيلة الشجاعة لم تكن تخص إلا المحاربين وذلك لأنها تولدت– وفقاً لهم– من طبيعتهم الخاصة(١).

ولقد جاءت فلسفة بوذا الأخلاقية لتؤكد المساواة الإنسانية ، والإمكانية المتاحة للبشر جميعاً لإحراز السعادة المطلقة، ولن يتحقق هذا إلا من خلال الأخلاق بعيداً عن الأصل أو المنبت.

(*) تنسب البوذية إلى بوذا Buddha أو "سدهارثا چوتاما Sidharthe Gautama" . ويعنى ذلك الاسم - بوذا- "المتيقظ Awakening one " أو المستنير enlightened one"" وهو يرتبط بكلمة Bodhi وتعنى اليقظة أو التنوير، و"سدهارثا" اللقب الذى لقب به، "چوتاما" اسم عائلته، وهى كلمة سنسكريتية، وينتمى "بوذا" إلى قبيلة تدعى Ŝăkyas "شاكياس" "بالسنسكريتية وSakya Ŝ وشاكيا، بالبالية. كذلك لقب بلقب ساكيامونى أو حكيم قبيلة "شاكيا"، ولقب أيضاً "بالتاثاجاتا Tathāgata أى الذى مضى على هذا النحو، ولقب كذلك "سوجاتا sugata" أى الذى أحسن المضى، ورغم الخلاف الكبير حول تاريخ ميلاد بوذا وتاريخ وفاته، فإن هناك شبه اتفاق على هذين التاريخين لميلاده ووفاته وهما ٥٦٣، ٤٨٣ق. م، كذلك هناك اتفاق على أن بوذا قد عاش حوالى ثمانين عاماً.

C. F. Smart. N: *The Buddha*, art in **the companion Encyclopedia of Asian Philosophy, ,** Rutledge, London,1997 , PP 305:306.

(**) الاسم الأصلى لكونفوشيوس هو "كونج تشو ، ويعد اسم كونفوشيوس أحسن الأسماء التى أمكن لأوروبا بثقافتها اللاتينية أن تعيه من اسم "كونج - فو - تزى" الذى يعنى حرفياً "كونج المعلم"، وعلى شاكلة غيره من زعماء البشرية الروحانيين حظى كونفوشيوس بمولد إعجازى، ولد فى مملكة "لو" - شانتونج الحالية - (٥٥١ ق.م - ٤٧٩ ق.م)، انحدر من أسرة أرستقراطية، اشتهر بمعرفته الجيدة بالطقوس، عمل بالتدريس، وبتصنيف الكلاسيكيات القديمة، ويُعد كتاب أقوال كونفوشيوس (المحاورات أو المختارات)، سجلاً لتعاليمه التى جمعها أتباعه بعد وفاته.

= انظر : هـ. ج. كريل: **الفكر الصينى من كونفوشيوس إلى ماوتسى-تونج**، ترجمة: عبد الحميد سليم، مراجعة: على أدهم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ، ص ٤٤.

(١) مجموعة مؤلفين، **الفلسفة الأخلاقية، من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء**، إشراف وتحرير، سمير بلكفيف، دار الآفاق، الرباط، ٢٠١٣، ص٣٩، ٣٤.

وكذلك هى الحال لدى كونفوشيوس، فقد جاءت أفكاره الاجتماعية والأخلاقية نتاجاً للأوضاع السياسية السائدة فى الصين، حيث كانت تسيطر على الصين قبل كونفوشيوس مظاهر الحياة الأريستوقراطية، وكانت هذه الطبقة تحظى بكل الامتيازات، حتى فى الممات فإنها تحيا فىى السماء تشرف على مصير ذريتها، وكانت مستأثرة بالحكم، ولم يكن فى مثل هذا الوضع أن يأمل أحد من عامة الشعب فى أن يصبح حاكماً، وذلك لأنه يفتقر إلى المقومات الأساسية وهى الأجداد ذوو النفوذ، وفى القرن السادس قبل الميلاد، وهو القرن الذى ولد فيه كونفوشيوس، كانت المعارك مستمرة مشتعلة على مستوى الولايات والعائلات، وكان عامة الشعب يرثى لهم، حيث كانوا الضحايا الفعليين للحرب [١]. ومن ثم جاءت فلسفة كونفوشيوس الأخلاقية لتصلح أحوال الناس وتحقق المساواة بينهم .

أما عن **الملامح الرئيسة لفكرهما** فقد قدم كل منهما فلسفته الأخلاقية من خلال منظورين؛ الأول منهما هو الجانب النظري ويمثل الأساس الفلسفى النقدي لواقعهما المعيش، أما الجانب الثاني فهو الجانب العملي التطبيقي للفلسفة الأخلاقية، ويعني الوسائل والطرائق والممارسات التي وضعاها لتحقيق غايتهما الأخلاقية.

بالنسبة **لبوذا** يقوم الجانب النظري الأخلاقي من فلسفته على بعض المفاهيم الأساسية لديه كمفهوم الأنيكا أو الاعتقاد بأن كل شيء زائل، وأنه ليس هناك ذات جوهرية، وأن الحياة مفعمة بالمعاناة، وتهدف تعاليم بوذا القضاء على هذه المعاناة وتحقيق النيرفانا على هذه الأرض، وطريق النيرفانا هو الطريق الثماني Eightfold path ومن ثم أعطى بوذا مسلكًا أخلاقيًا وروحيًا لتوقف المعاناة.

أما عن **المعاناة:** يرى بوذا أنه لابد لكل إنسان يعيش فى هذا العالم أن يعانى من شكل من أشكال المعاناة، كالظلم أو المرض أو البؤس أو الموت ، ويرى وجوب حدوث هذا، حيث إن الموجود الإنسانى بعيد عن الكمال، وبعد معاناة بوذا واختباره لحقيقة تلك المعاناة ، خَلُصَ إلى أنه لا الطرف الأقصى للانغماس فى الملذات ولا الطرف الأقصى فى التقشف يمكن أن يقضى على تلك المعاناة، وإنما يمكن هذا بالطريق الوسط بين اللذة والتقشف، وقد انكشفت له أسباب المعاناة والاستنارة، ومضمون هذه الاستنارة هو الرسالة الأساسية للبوذية، وتتمثل هذه الرسالة فى الحقائق الأربع النبيلة[٢].

أما **الطريق الثماني** الذى وضعه بوذا، فيمثل لديه الجانب العملى الذى يجب على الإنسان أن يسلكه للوصول إلى الكمال الأخلاقى، فهو على النحو التالى:

---

[١] ه.ج.كريل، **الفكر الصينى من كونفوشيوس إلى ماوتسى- تونج**، ص ٢٤-٢٦.

(٢) چون كولر: **الفكر الشرقى القديم** ، ترجمة: كمال يوسف حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥، ص ١٨٧، ١٩١.

انظر أيضاً: جمال المرزوقى: **الفكر الشرقى القديم وبدايات التأمل الفلسفى**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٢٣.

- الرأي الصحيح (Samma Dithi): ويعني المعرفة الصحيحة بالحقائق النبيلة الأربعة، تلك المعرفة التي تؤدي إلى حال النيرفانا.
- النية الصحيحة (Samma Sankappa)، وهي العزم على فعل الصواب والابتعاد عن الخطأ، واقتلاع التعلق باللذة الحسية، وسوء النية تجاه الآخرين، والإحسان والرحمة.
- القول الصحيح (Samma Vaca)، أي الامتناع عن الكذب والإساءة بالكلمات القاسية وأن يتلفظ الإنسان بما هو صواب وحق ومرضى ولا يؤذي الآخرين.
- الفعل الصحيح (Samma Kammanta)، ويعني التوقف عن تدمير الحياة.
- والعيش الصحيح (Samma Ajiva)، وهنا يؤكد بوذا على ضرورة تكسب الإنسان لرزقه بالوسائل الصادقة الصحيحة.
- الجهد الصحيح (Samma Vayama)، أى أنه لا يمكن للمرء أن يتقدم بشكل مطرد ما لم يحافظ على جهد متواصل ودؤوب لاستئصال الشر والسوء من نفسه.
- الوعي الصحيح (Samma Sati)، إن الوعي شرط أساسي لا غنى عنه، ندرك من خلاله أن الجسم والعقل وكل شيء زائل، ومن ثم نتحرر من التعلق والحزن.

-التركيز الصحيح (Samma Samudhi): وهي المرحلة التي يُحرر فيها المرء نفسه من الشرور، حتى يصبح مؤهلاً للدخول إلى حال السامادي، التي تتألف بدورها من أربع مراحل؛ أولها حال السعادة التي يركز فيها عقل المريد على الاستدلال (Vitarka)، وثانيها حال السلام والهدوء الداخلي الناتج عن التأمل المكثف والهادئ، وهنا يظهر إيمان المريد بالحقيقة الرباعية التي يتبدد معها كل شك. أما ثالث هذه المراحل فهو الوعي المحايد، الذي يتم فيه تدمير الرغبة، وهي حال الاتزان التام والراحة الجسدية، وأخيرًا يصل المريد إلى المرحلة الرابعة وهي حال الحكمة الكاملة (Prajna) والكمال (Sila)[١].

ويعترف بوذا بأن إحراز الحياة الأخلاقية المثالية استنادًا إلى الطريق الثماني ليست بالمهمة السهلة، لذا قدم خمسة مبادئ أخرى اعتبرها الحد الأدنى من الالتزام الأخلاقي الذي يكفل حياة متناغمة في المجتمع، وهي: الامتناع عن قتل أو أذى أي كائن حي، الامتناع عن أخذ ما لا ليس لك الحق فيه، الامتناع عن السلوك الجنسي السيئ، الامتناع عن الحديث الفاسد (كالكذب والاغتياب)، الامتناع عن المشروبات التي تذهب العقل[٢].

---

(1) Nirupama Roy: *Ethical philosophy of Buddha: A study*, **International Journal of Multidisciplinary education,** Reserch,sucharitha publication India, pp. 54, 55.Dol:http://ijmer.in.doi./2022/1104.157 متاح على الرابط

C.F, Sikha Sarma: *Ethic in Buddhism: A philosophical Redropped of Gautama Buddha in the context of modern society*, art in, **Journal of Survey in Fisheries Science** (10), 3426-3431.

انظر أيضًا: جون كولر: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

(٢) Nirupama Roy: op. cit., p. 55.

أما **كونفوشيوس** فيتأسس الجانب النظري من فلسفته الأخلاقية على مفهومه عن الطبيعة البشرية وارتباطها بالفضيلة- ذلك المفهوم الذى سنتناوله بإسهاب فى المحور الثانى من الدراسة-، و كذلك إرادة الذات الخيرة التي تسبق تأدية الواجب الأخلاقي، كما يظهر أيضاً فى مفهومه الأخلاقي عن الحد الأوسط.

ويمثل "الحد الأوسط" عند كونفوشيوس الطريق الذي يجب على الفرد أن يلتزم به ليبتعد عن الإفراط والتفريط في الحياة، و يحقق التوازن بين الجانب العقلي والوجداني ذلك التوازن الذي يتم بالتهذيب والتربية، وبهذا يتحول الوسط إلى فضيلة نبيلة تساعد في شعور الفرد وتحقيق وجوده، وربما كان هذا مصدر القول بالتشابه بين كونفوشيوس وأرسطو ، ويمثل الوسط عند أرسطو مضمون الفضيلة، فالفضيلة هي الوسط بين طرفين كلاهما رذيلة، أحدهما إفراط والآخر تفريط، وبذلك يرتبط الوسط بالفضيلة بحيث يصبح الوسط نفسه هو الفعل الفاضل المعتدل، وهو وسط اعتباري يختلف باختلاف الأشخاص وليس وسطًا حسابيًا ثابتًا، أما عند كونفوشيوس فهو حالة من الاتساق الداخلي لجانبي النفس البشرية، وقد نالت هذه الفكرة أهمية بالغة في مذهب كونفوشيوس حتى لقب بصاحب الوسط[١].

أما الجانب العملي لفلسفة كونفوشيوس الأخلاقية

فيدور حول كيفية الوصول إلى الكمال الإنساني وذلك من خلال عرضه للفضائل الرئيسة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان، والتي تتشعب عنها كل القيم الأخلاقية، وهى فضائل الجين، الاستقامة، طاعة الأبناء، والطقوس

وتقوم تعاليم كونفوشيوس الأخلاقية على أساس كلمة "جين"، ومعنى "جين": المحبة تصدر عن طريق الشفقة من القلب وتصل بعد ذلك إلى ذروتها. ولا نستطيع أن نقول إن كلمة واحدة لا يمكن أن تكون مرادفة لهذه الكلمة سواء كانت الإحسان أو الإنسانية أو طلب الخير أو التقوى إذ إن كل تلك الكلمات تجتمع في كلمة (جين)، وبناء على هذا فإن فضيلة جين تحوي معان مختلفة، وبشكل عام تعني الإنسانية، ويعتبرها كونفوشيوس من أسمى الفضائل، وقد وردت فضيلة (جين) في القواعد الخمس لكونفوشيوس وهي عبارة عن: علاقة الأب بالابن، والأخ الأكبر بالأخ الأصغر، والزوج بالزوجة، والملك بالشعب، والصديق بالصديق.

---

[١] هالة أبو الفتوح : **فلسفة الأخلاق والسياسة، المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠ ، ص ص ٦٨، ٦٩.

وعندما طُلب من كونفوشيوس أن يفسر معنى كلمة "جين" أجاب: تشتمل كلمة جين على خمس قواعد أو أصول يجب مراعاتها في كل زمان ومكان، وهي عبارة عن الاحترام والإخلاص والحماس والمودة وسمو الطبع، فعن طريق الاحترام الذي تبديه للآخرين تحترم نفسك، وعن طريق سمو الطبع الذي تبديه للجميع ستجعل الآخرين يثقون بك، و عن طريق الإخلاص و الحماس الذي تبديه في العمل ستسود الجميع بالمودة(١).

ويؤكد كونفوشيوس أهمية العائلة في تطوير (الجين)، لأن العائلة تشكل البيئة الاجتماعية المباشرة للطفل. فالولاء البنوي، هو فضيلة توقير العائلة واحترامها، فأولاً وقبل كل شيء، يتم توقير الأبوين، لأن الحياة نفسها متولدة عنهما، وفي غمار إظهار التوقير للوالدين، من المهم حماية الجسم من أن يلحق به أذى، حيث الجسم من الأبوين، ومن هنا فإن حماية الجسم هي تكريم للأبوين، بل أكثر من ذلك، فإن التوقير ينبغي إظهاره للأبوين من خلال حسن السلوك في الحياة، وجعل إسهامهما معروفًا وسجلاً، وإذا لم يكن بمقدور المرء أن يُشرف اسم أبويه، فعليه ألا يجلب لهما الخزي والعار(٢).

كذلك **لفضيلة الاستقامة** دور في فلسفة كونفوشيوس، حيث ينظر الرجل الأسمى إلى الاستقامة، باعتبارها جوهر كل شيء، وهو يلتزم بها بحسب مبدأ آداب المجتمع، ويبرزها في تواضع، ويمضي بها إلى نهايتها في إخلاص. وقد كان كونفوشيوس مقتنعًا بأن العناية بالإنسانية من خلال احترام آداب المجتمع، والولاء البنوي، والاستقامة، سوف تُفضي بالشخص إلى تجسيدٍ شخصي للفضيلة، الأمر الذي سيسفر عن مجتمع منظم خير تنظيم، وليس هناك تمييز حاد هنا بين الأخلاق والسياسة، فإذا كان الناس صادقين مع أنفسهم، ويتسمون بالإخلاص، فإنهم سيُجسدون الفضائل المختلفة، وإذا ما قام كل شخصٍ بهذا، فمن المؤكد أنه ستكون هناك حكومة جيدة، ونظام اجتماعي تعُمه السعادة(٣).

أما فضيلة الطقوس Li، فالمقصود بها مبدأ النظام الاجتماعي أو المبدأ المنظم لكل العلاقات، ورغم كونها من المفاهيم التراثية في الصين القديمة، فإن مضمونها قد اختلف كثيرًا داخل نسق كونفوشيوس، حيث حولها إلى قضية أخلاقية ووسيلة لتحقيق الانضباط في حياة الفرد والآخرين، فعندما سأل عن معنى الطقوس قال: « بالطقوس يكون من الأفضل أن نلتزم

(١) مهرداد مهرين، **فلسفة الشرق**، ترجمة: محمود علاوي، مراجعة: عبد الحميد عبد المنعم مدكور، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣.

(٢) جمال المرزوقي، **الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفى**، ص ٢٥٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٥١.

بالاقتصاد ونبتعد عن التبذير، وفي الحداد يكون من الأفضل أن نلتزم بالحزن أكثر من الشكل (المظهر)»، وترتبط الفضائل كلها داخل الفرد، وعندما تكتمل بداخله تحوله إلى طريق النبالة [١].

ومن ثم، يتضح مما سبق، أن هناك فرقاً بين المسلك الروحي لدى كل من بوذا وكونفوشيوس، فالأرهات الذي وصل إلى النيرفانا وهو ذلك الإنسان الذي يسكن قلبه السلام، والمتحرر من كل رغبة، يتجاوز اضطراب العالم الذي يعاني منه المولعون به، في حين أن التشون تزو عند كونفوشيوس، وهو ذلك النبيل الذي حقق أعلى درجات الصعود الروحي، فهو من يظهر فضائل "اللي" و"الجين"، و يرتبط بعالمه وبالالتزامات العلائقية الخمسة[٢].

ثانياً: الطبيعة البشرية والأخلاق:

- بوذا:

تمثل المعاناة – كما أسلفنا– واحدة من المبادئ الأساسية في فلسفة بوذا، تلك المعاناة التي تتولد عن رغبات ترتكز على معتقدات خاطئة، كالاشتهاء والتوق والتملك، وإذا ما استبدل بهذا الفهم المغلوط رؤية دقيقة عن الطبيعة البشرية، فإن المعاناة سوف تتوقف، ويمكن للمرء من أجل إحراز السعادة أن يسلك مسلكًا عقليًا وعمليًا، ولمعارضة الرأي القائل بأن الوجود البشري أكثر أهمية من وجود الكائنات الأخرى تبنى البوذيون استراتيجية جذرية، تتمثل في محاولة إظهار أن البشر ليست لديهم ذوات أو هويات فردية، ومن ثم، فلا شيء في الإنسان يظل ثابتًا، فضلاً عن إدراك أن جميع الكائنات عرضة للتغير والفناء[٣]

ولقد كان لمفهوم الزوال والتغير، تلك الفكرة الجوهرية في فلسفة بوذا أثرًا كبيرًا في مفهومه عن التنوير، فالتنوير الروحي –الذي يعني إدراك الحقيقة المطلقة– لا يمكن أن يكون نتاجًا لهذا العالم المتغير، لذا أقر بوذا ضرورة التسامي عن هذا العالم، كذلك رأي أن الأشياء زائلة[٤].

لقد انتقدت أفكار بوذا بوصفها منهجاً للمغالاة يخلو من كل أخلاق وكل ذاتية – وفقاً لهيجل فى محاضرات فى فلسفة التاريخ – وأهم نقاط هذا النقد هى فكرة إنمحاء الذات، وإنكار

---

[١] هالة أبو الفتوح: المرجع السابق ، ص ص ٩٤ – ٩٥.

[2] Coughlin. J. John: Ideas of the Sacred. Muthhukumar Girri, Palanjyapan, 2014. http://www.academia.edu>Ideas-of-Buddha-and-co

[3] Hayes, Richard, P.: *Buddhist philosophy*, India, art in, **Routledge Encyclopedia of philosophy,** https://www.rep.routledge.com>sections>human nature.

[4] Goughlin. J. John: Ideas of the sacred .

حقيقة النفس، وتكمن الخطورة فى القول بانمحاء الذات الميتافيزيقية ، انمحاء الذات الأخلاقية بالتبعية، لأنه لا أخلاق بلا ذات، والحقيقة-أن بوذا لم ينكر الذات التجريبية ،فهى تمثل لديه فعل التحرر والخلاص ، لكنه أنكر جوهريتها.

أما كونفوشيوس

فلم يتحدث كونفوشيوس عن الطبيعة البشرية بشكل مباشر سوى مرة واحدة في محاوراته، وفي هذا يقول: "الطبيعة البشرية مشتركة ومتشابهة من حيث الأصل والعادات والتقاليد البيئة المختلفة، هي التي شقت من جذورها أصولاً وفروعًا وألوانًا متباعدة"[١]. ومن ثم فنحن جميعاً متشابهون بالميلاد، والتجارب هي ما تخلق حياتنا الفردية الفريدة، ولقد أنكر كونفوشيوس إحرازه لأية معرفة غير عادية، سواء كانت فطرية أو مستلهمة، وما اعتبره استثنائيًا في نفسه هو حبه للتعلم وإصراره على المبادئ الأخلاقية[٢].

وإن كان كونفوشيوس لم يتحدث مباشرة عن الطبيعة البشرية فيماعدا الموضع السالف ذكره، فإننا يمكن أن نستنبط من محاوراته، رأيه في هذا الصدد، فمثلاً، يقول كونفوشيوس: "ما رأيت في حياتي قط امرء يبغض الشر بغض الموت، ذلك أن من أحب الخير بصدق، اتخذه بنبض قلب وروح ووجود، ومن أبغض الشر، تجنب حبائله ..." [٣]، وفي هذا الموضع يقترب كونفوشيوس أكثر من معالجة الطبيعة البشرية، فللإنسان القدرة على فعل الخير والشر، لكنه؛ ليس لديه قدرة كمال الخيرية، وهذا لا يرجع إلى نقص متأصل في طبيعته، إنما يرجع إلى افتقاره للإخلاص وللتفاني[٤]. وفي هذا يقول كونفوشيوس إن كل أفكاره وكلماته وفلسفته تصدر عن مبدأ الإخلاص[٥].

هذا عن الطبيعة البشرية ، ويبقى السؤال مامصدر هذه الأخلاق ومعيار صحتها؟ هل كانت مستقاه من مصدر ميتافيزيقى؟

لقد كانت الفلسفة في الهند والصين تمارس بوصفها أسلوب حياة يختلف عن أساليب الحياة الأخرى المتجذرة في الإيمان بالقوى الخارقة، وتنقسم هذه الممارسة إلى؛ إما أسلوب حياة

---

[١] كونفوشيوس، المحاورات، الفصل ١٧، فقرة ٢، ضمن كتاب الكتب الأربعة المقدسة، ترجمة عن الصينية: محسن سيد فرجاني، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩، القاهرة ص ١٤٦.

[2] Jason Ader, Confucius and Human Nature, Parkland College, 2012.

[٣] كونفوشيوس، المصدر السابق، الفصل ٤، فقرة ٦، ص ٤٤.

[4] Joson Ader, op. cit.

[٥] كونفوشيوس، المصدر السابق، الفصل ٤، فقرة ١٥، ص ٤٥.

فلسفي ميتافيزيقي، وإما أسلوب حياة فلسفي تقوده الأخلاق، ويقوم النمط الثاني على محاولة تحويل الممارس من حال وجودية إلى أخرى أسمى أخلاقيًا وجعله مكتفيًا بذاته سيكولوجيًا، أما أسلوب الحياة الفلسفي الميتافيزيقي، فيحاول فيه الفيلسوف تحقيق أعلى درجات المعرفة وإحراز الحقيقة، وليس للأخلاق في هذا سوى دور ثانوي(١).

كذلك هى الحال لدى كل من بوذا وكونفوشيوس فلم يستمد نسقهما الأخلاقى سلطته مما هو خارق للطبيعة، حيث رفضا الاستناد إلى الميتافيزيقا في فلسفتهما، والدلائل على هذا حاضرة في نصوصهما وفى مجمل آرائهما.

فعلى سبيل المثال، لم يتحدث بوذا عن طبيعة النيرفانا، ذلك المفهوم الجوهري في فلسفته، شأنه في ذلك شأن موقفه من التساؤلات المتيافيزيقية التي سُئِلَ عنها، حيث كان يعتقد أن رسالته لم تكن الكشف عن الأسرار، ولكن كيفية إدراك البشر لها(٢). كذلك يرى بوذا إنه إذا ما انشغلنا بالتأملات الميتافيزيقية فسوف نكون مثل الأحمق الذي أصاب قلبه سهم مسمم، ولا يحاول إنقاذ حياته ونزع هذا السم، وإنما يتأمل ويتفكر في أصله وحجمه ونوعه والذي أطلقه. لذا أكد بوذا على الأخلاق العملية من الحياة البشرية، وركز على القضاء على المعاناة التي هي المشكلة الجوهرية في تلك الحياة(٣). فبوذا، ربما يُعد المفكر الذي أوجد حلاً غير ميتافيزيقي غير ديني "للدوخا" أو المعاناة البشرية.

وإذا كان بوذا قد رفض الأطروحة الميتافيزيقية لإحراز الحقيقة، فإن ما تبقى للنظر فيه جديًا هو الممارسات الأخلاقية التى تؤدى بالإنسان إلى النعيم، وهو ما أكده بوذا في موضع مهم من مؤلف Smanna phala sutta ، معنون بـ "ثمار الحياة التأملية" يقول فيه : « ثم أيها الراهب .. إن الذي كمل في الأخلاق لا يعرف خطرًا من أي جانب .. ويختبر في نفسه النعيم الكامل الذي يتأتى بالتمسك بالأخلاق Ariyan، وبهذه الطريقة يكون قد كمُل في الأخلاق»(٤).

ومن ثم، ووفقًا للفقرة السابقة، فإن الحال العقلية للإنسان الذي كَمُلَ في الأخلاق تختلف عن الحال العقلية للذي لم يتقن الأخلاق بعد، والأخلاق المقصودة هنا هي ممارسة Ahisma (اللاأذى) و satya وإحراز الحقيقة.

---

(1) K. P. Shankaran: The Buddha as a philosopher
http://www.soka.ac.jp>files متاح على الرابط

(2) Radhakrishnan**: Indian philosophy**, Vol (1), p. 447.

(3) Nirupama Royi: "*Ethical philosophy of Buddha: A study "*

(4) K. P. Shankaran: The Buddha as philosopher.

ويؤدي كمال الأخلاق إلى النعيم، وهي حال خالية من القلق، ومن ثم، فهي ليست بحاجة إلى دعم خارجي يساعدها في التغلب على القلق الوجودي، وهذه هي الحال النفسية التي يمكن فيها التخلص من الدوخا وذلك على النقيض ممن يعتقد في البعد الميتافيزيقي، و يسعى إلى طلب المساعدة والعون من مصدر خارجي، و تكون وسيلته في هذا، الطقوس، وزيارة الأماكن المقدسة ... إلى آخره من الممارسات العقائدية[١].

إذ كان بوذا يقول في (المبادئ العشرة) إن كل فعل أو قول هو إما صحيح وإما خاطئ، مناسب أو غير مناسب، ... إلخ، لكن، وإن كان الأمر كذلك، **ما معيار الصحة وما مصدرها؟**

لقد ورد هذا السؤال في مقدمة "براهما سوترا باهشيا" Brahma Sutra Bhasya التي تعزو إلى شانكارا Sankara، والذى أكد على أن الإجابة عن هذا السؤال تُعد لغزاً samrti لا يمكن معرفته، ولا يمكن إيجاد الحقيقة إلا في البراهمان، أما بوذا فلم يكن لديه مطلق، وقد خالف التصور البراهماني ورفض الميتافيزيقا، وأجمل موقفه في محاولة إحراز النيرفانا [٢].

وحال النيرفانا هذه لا يمكن الوصول إليه إلا بالتخلص من التمركز حول الذات، وهو ما أشار إليه بوذا في الخطبة التى سُميت "موعظة النار" Fire sermon والتي ذكرها بعد إحرازه للتنوير، و يُحلل فيها الرغبة craving، فيقول: "أيها الكهنة، كل الأشياء متقدة نارًا: الصورة متقدة نارًا ... الوعي متقد نارًا، الإحساس ... متقد نارًا ... متقد بنار العاطفة وبنار الكراهية، وبإدراك هذا يمقت الإنسان هذه الأشياء، ويصبح مجردًا من العاطفة، ومن ثم يصبح حرًا ..." [٣]. إذن، لقد كانت الممارسة الأخلاقية ومقاومة الرغبة والاشتهاء هي الطريق، وكانت النيرفانا هي الغاية الأخلاقية، وكانت الأخلاق هي المصدر للأخلاق ولا شيء غيرها سواء كان ميتافيزيقيًا، أو حتى قانوناً أو عرفًا اجتماعيًا.

<u>كذلك كونفوشيوس</u> أيضاً، لم يلق بالاً للبحث في الأمور الميتافيزيقية –كما أسلفت– لكنه كان مهتمًا ومنغمسًا ومستغرقًا في الحياة ومشكلاتها السياسية والاجتماعية.

فقد كانت فلسفة كونفوشيوس وآراؤه اصلاحية ، سياسية، أخلاقية، واجتماعية تخاطب الإنسان فى واقعه المعيش، ولم يلق بالاً للبحث فى الأمور الميتافيزيقية التى تتجاوز هذا العالم، حيث كان مهتماً ومنغمساً ومستغرقاً فى الحياة ومشاكلها وأعبائها السياسية والاجتماعية،

---

(1) Ibid, p.

(2) K. P. Shankaran: op. cit.

(٣) أ.و.ف. تومالين: **فلاسفة الشرق**،(ترجمة: عبد الحميد سليم)، مراجعة: علي أدهم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ص ٢٢٨ – ٢٢٩.

وكثيرًا ما كان يتعرض تلاميذه لانتقادات بل سخريات النساك الذين كانوا يحيون حياة البساطة وحياة العزلة، لأنه حتى ذلك الوقت كان ينظر إلى الشخص الحكيم على أنه الشخص الذي من الأفضل أن يركز أفكاره ويتخلى عن كل اتصال بالعالم. ولقد كان "لكنفوشيوس" بالنسبة لهذه السخريات، دائمًا رد مؤثر جدًا: "إنني لا أستطيع أن أسير مع أسراب الطيور وقطعان الحيوانات، وإذا لم انضم إلى البشر فإلى من يمكن أن أنضم؟ وإذا لم يكن للحكم الصائب أن يسود العالم، فلا ينبغي لي أن أشارك في إصلاحه"(١).

ومن ثم ، كان هم كونفوشيوس الأول هو هذا العالم ، عالم الحياة ، فقد رفض، على سبيل المثال، أن يناقش موضوع الحياة بعد الموت. ولعل السبب في هذا هو اهتمامه البالغ بالكيف دون الكم، فمقياس حياة الإنسان ليس "كم طول عمره؟" ولكن "كيف كان نصيبها من الصلاح؟". فإذا أخلص الإنسان فى أخلاقه وسلوكه و بلغ أسمى درجة ممكنة من درجات الاستنارة الأخلاقية وسلك طريقًا من طرق الحياة والفكر مرضيًا إلى أقصى حد، فإذا كان ليس من المرغوب فيه أن يموت ، ولكن إذا كان هذا الموت لا مفر، فهذا أمر يمكن احتماله. ولا يفسر إحجام كونفوشيوس عن البحث فى المسائل الميتافيزيقية على أنه إنكار لوجود عالم روحي أسمى، بل هو بالأحرى قد أعطى الأولوية للاعتبارات الإنسانية ورفاهيتها و سعادتها. ولقد اتبع في تأملاته الخاصة، مثلما اتبع في تعاليمه، منهج البحث العقلي المنطقى(٢).

فلم يكن للأخلاق عند كونفوشيوس ، إذن ، مصدر ميتافيزيقى ، وإنما كان التاو هو مصدرها ، لكنه لم يكن يحمل، بعد، أي معنى ميتافيزيقي من المعانى التى اضفاها عليه لاوتسى لاحقاً، بل كان يعني الطريق القويم من الناحية الاجتماعية والأخلاقية والسياسية

ثالثاً: أخلاق الفضيلة

تُعد أخلاق الفضيلة بديلاً عن كل من الأخلاق النفعية وأخلاق الواجب، وإحدى السمات الفريدة لها هي أنها- على النقيض من النوعين الآخرين من الأخلاق، واللذان يهتمان، في المقام الأول، بكون الأفعال صحيحة أو خاطئة (إما وفقًا للمبدأ وإما وفقًا للنتيجة) - تهتم بكون الفاعل صالح أو سيئ، لذا، ففي حين تولي أخلاق الواجب وأخلاق العواقب اهتمامهما الأساسي

(١) المرجع نفسه، ص٢٣٠.

(٢) المرجع نفسه، ص 231.

بالأضرار أو الفوائد التي تنتج عن الفعل، فإن أخلاق الفضيلة تهتم، في المقام الأول، بضرر أو رفاهية الفاعل، أو بالمصطلح الأرسطي eudaimonia أى السعادة الحقيقية(١).

لقد هيمنت، في القرن العشرين، عدة تساؤلات عن النظرية الأخلاقية تتعلق بالسلوك و"الفعل الصحيح"، وكان السؤال الرئيس فيها "ماذا ينبغي للمرء أن يفعل؟" وكانت المفاهيم الرئيسة في هذا السياق تدور حول الواجب، والحرية، والتسامح، والإرادة ....، وفي عام ١٩٥٨ كتبت إليزابيث أنسكومب Elizabeth Anscombe مقالاً ساخرًا بعنوان "الفلسفة الأخلاقية الحديثة" وشككت في الأسس التي قام عليها هذا المشروع، وذلك لأن القانون الأخلاقي فيها قائم على الميتافيزيقا وينتهج نهجاً غير مناسب لعلم النفس البشرى، ثم ذكرت إيريس مردوخ Iris Murdoch –لاحقاً–أن الفاعلية الداخلية –كالدوافع– مهمة للأخلاق مثلها في ذلك مثل الأفعال (١٩٧٠) ثم أولى جون راولز John Rawls في كتابه "نظرية العدالة" (١٩٧٢) اهتمامًا كبيرًا بالدافعية، والتعليم الأخلاقي وبعلم النفس، وقدم تصنيفًا أخلاقيًا يعتمد على فكرة الفعل الصحيح(٢).

ينقسم هذا التصنيف إلى؛ أخلاق الغائية teleology (وهي تلك النظريات التي تحدد الفعل الأخلاقي من خلال تعظيم غاياته)، وأخلاق الواجب deontology (أي تلك النظريات التي يتم من خلالها تعريف الصواب بعيدًا عن نتائجه)، وخلال سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين استمرت مركزية الفعل (الصحيح) وظل التقسيم السابق قائمًا حتى قدم واتسون Watson (1990) نقدًا لراولز، وقدم تصنيفًا ثلاثيًا للأخلاق، يتمثل في:

* غائية الغاية أو أخلاق النتيجة Ethics of outcome

* غائية/ غير عواقبية teleological non consequentialist أو "أخلاق الفضيلة".

* ثم أخلاق الواجب Deontological Ethics.

ولقد أصبح من الشائع التمييز بين "نظرية الفضيلة" virtue theory، التى هى جزء من النظرية الأخلاقية يتناول الفضيلة، وبين "أخلاق الفضيلة" virtue ethics التي هي مقولة مميزة للنظرية الأخلاقية نفسها(٣).

---

(1) Yong Huang: "*why Confucian ethics in virtual Ethics"*, art in, **Journal of Chinese philosophy** , Vol 47, issue, 3-4, December, 2020. http://doi.org/10.1111/1540-6253-12409. متاح على الرابط

(2) Stephen C. Angle: *'The Analects & Moral theory*", art in, **Comparative Study of Self, Autonomy & Community,** Cambridge university press,2004, p. 8-9.

(3) Ibid, pp. 10 – 11.

لكن أين تقع الأخلاق البوذية والكونفوشية من هذه التصنيفات.

لقد اختلف الباحثون حول طبيعة الأخلاق البوذية والكونفوشية فالبعض يرى في أخلاقهما أخلاق الفضيلة Virtue Ethics والبعض يرى فيهما أخلاق الدور role Ethics –الكونفوشية تحديدًا– والبعض الآخر يرى فيهما نوعًا من الأخلاق العواقبية consequentialism، لكن ما طبيعة الأخلاق البوذية والكونفوشية، وما أخلاق الفضيلة؟

ذهب البعض إلى القول بأنه يجب فهم الأخلاق البوذية باعتبارها شكلاً من أشكال الأخلاق العواقبية لا من أخلاق الفضيلة (Charles Goodman)، ويعني هذا الاصطلاح – أى العواقبية باختصار– أن تقييم سلوكيات البشر ونواياها وشخصياتهم، بشكل أخلاقي، يكون وفقًا للعواقب التي تنتج عنها، بالفعل. وقد استند هذا الرأي إلى القول بأن البوذية شديدة الإيثار Altruistic، فهي تؤثر الغير وبشكل جذري، وهذا لا يتوافق مع مفهوم الفاعل الفاضل عند أرسطو ومن ثم، لا تتوافق أخلاقيات بوذا وكونفوشيوس مع نظرية أرسطو في الفضيلة[١].

والحقيقة أن هذا الرأي مردود عليه، وفي هذا يجب أولاً أن نميز بين مفهوم العمل الصحيح الذي يقدم مبررًا للعيش حياة أخلاقية، وبين صياغة مجموعة من الإجراءات لاتخاذ قرارات أخلاقية، و عادة ما تقدم أخلاق الفضيلة كبديل لأخلاق الواجب، ففي حين يتعلق الأخير بالإلزام الأخلاقي، وبهذا المعنى يتمحور حول الفعل، فإن أخلاق الفضيلة تنحى منحىٍ آخر، حيث تهتم بالكيفية التي يسلكها الفاعل وأي نمط من البشر يكون، لا بالطريقة التي يجب أن يتصرف بها، فهي لا تتمحور حول الفعل بل حول الفاعل، أي الممارس لأخلاق الفضيلة، وتنظر إلى الفضيلة كهدف أخلاقي مركزي، ومن ثم تسعى إلى تطوير وتثقيف هذا الفاعل[٢].

وبتطبيق هذا الاعتبار على البوذية والكونفوشية، نجد أن الأخلاق عند بوذا تتمركز حول الفاعل، وتسعى إلى الحياة الأخلاقية لا الجيدة أو السعيدة فحسب، فالحياة الأخلاقية هي الحياة المقدسة، وتسعى البوذية إلى تعزيز نقاء الممارس: "لا تفعل ما هو شر، افعل ما هو جيد، احفظ عقلك نقيًا..." هذه هي تعاليم بوذا، ويمكن للمرء أن يصبح أرهاتًا من خلال تطهير الذات، ومن ثم، تُعد الأخلاق البوذية، غائية، والسلوك الجيد بها ليس مجرد وسيلة لتحقيق غاية، ويتضح هذا أيضًا فيما ورد عن بوذا في الداهمبادا Dhammapada، في وصفه للخير والتقدير، كشيء يتراكم مع مرور الوقت، حيث يقول: "لا تفعل شيئًا بسيطًا تعتقد أنه قليل القيمة .... فقطرات الماء المتساقطة سوف تملأ جرة الماء في الوقت المناسب، وهذه هي حال الحكيم الذي يمتلأ خيرًا، رغم أنه جمع هذا الخير شيئًا فشيئًا" (Dh v. 122) [٣].

---

(1) Brad Ford cakelet: *"Confucianism, Buddhism and virtue Ethics*", art in, **European Journal for Philosophy of Religion** 8/1, spring 2016-Druk, pp. 209, 210.

(2) Charles, K. Fink: "*The cultivation of virtue in Buddhist Ethics*" , **Journal of Buddhist Ethics,** Vol 20, 2013, p. 670. http://blos.dickmson.edu/buddhistethics. متاح على الرابط

(3) Charles, K. Fink: Op. cit، pp. ٦٧٣، ٦٧٤.

ربما السبب وراء اعتقاد البعض بأن الأخلاق البوذية عواقبية، هى تلك الأفكار التي قاربتها وتتوافق مع المراحل المختلفة للتطور الأخلاقي والروحي وتنطلق من منظور التبعات؛ فالأخلاق مهمة، وفقًا لعقيدة الكارما –لأنها تؤدي إلى السعادة في الحياة، والسعادة سعي كل البشر، ومن ثم، فالكارما مبررًا وحافزًا للعيش بصورة أخلاقية، كذلك تكمن أهمية الأخلاق في البوذية لأنها تحررنا من السمسارا Samsara، فضلاً عن كونها تنمي التعاطف تجاه كل الكائنات، وهذا التعاطف هو أحد الأهداف المركزية في البوذية. ولا يلزم أن يكون الفعل صحيحًا إذا كانت عواقبه مفيدة، فتحليل الفعل الصحيح شيء وتفسير سبب أهمية الأخلاق شيء آخر، فالقاعدة الأخلاقية "افعل بالآخرين ما تحب أن يفعلوه بك، لا تفسر لماذا يكون الفعل صحيحًا، لكنه يقدم معيارًا مفيدًا لاتخاذ قرار أخلاقي[١].

كذلك تمثل الفضيلة موضعًا هامًا في الفكر الأخلاقي عند **كونفوشيوس**، فيقول عنها: "ليس هناك مقام أعلى من مقام الفضيلة (١٥ – ٣٦)، ويعيب على هؤلاء الذين يظنون أن الفضيلة والأخلاق نوع من الترف الفكري، ويرى أن الشعوب تحتاجها كحاجتها إلى الماء والنار، ... فقد رأى كوارث رهيبة بسبب فيضانات وحرائق لكنه لم ير قط كوارث نجمت عن المغالاة في التمسك بالفضائل"[٢].

ومن ثم، لم يكن كونفوشيوس مهتماً بالفعل لكن بالفاعل– كما هى الحال عند بوذا– ، لذا فالأخلاق الكونفوشية أيضًا تُعد أخلاق فضيلة، وأخلاق الفضيلة – كما أسلفنا– لا تهتم فقط بالفاعل الأخلاقي لكن بالطريقة التي يقوم بها في فعله هذا، فالفاضل يفعل الأشياء الفاضلة بشكل طبيعي، دون جهد، برشاقة وسعادة، دونما محاربة للميول أو المشاعر، ودونما أي صراع بين النفس والجسم أو العقل والعاطفة[٣]، ويتضح هذا في بعض مواضع مختارات كونفوشيوس.

فعلى سبيل، عندما سأل أحد الطلاب كونفوشيوس عن فضيلة طاعة الوالدين، أجابه قائلاً: "إذا كانت الأمور تقاس بمقدار الجهد، فالبر إذن أن تمد لهما يد المساعدة .. أو تهيئ لوالديك مآدب الطعام الفاخرة، فيشبعان ويمتلئان من خبزك وخمرك؛ إذ يبدو لي أن أحدًا لم يعد يقدر هذه الأيام أن يحمل ابتسامة صافية على وجهه ويدخل بها على أبويه، يملأ قلبيهما بالسعادة عرفانًا وحبًّا خالصًا"[٤]، أي أنه ليس من المهم فعل الفضائل فحسب، لكنه أيضًا الاستمتاع بالقيام بها بسعادة ودون عناء.

ومن ثم فأخلاق الفضيلة تتناول الأخلاق، في المقام الأول، من جانب الذات البشرية، وهذا بدوره يقوض مفاهيم الجيد والسيء، ولا يعني هذا بالضرورة أن تكون أخلاق الفضيلة

---

(1) Ibid, p. 693.

(٢) كونفوشيوس: المحاورات، باب ١٥، فصل ٣٦، ، ص ١٣٧.

(3) Yong Huang: op. cit., p. 286.

(٤) كونفوشيوس: المصدر السابق، باب ٢، فصل ٨، ص ٣٠.

فردية بصورة مطلقة، فعلى سبيل المثال، نجد أبرز المدافعين المعاصرين عنها، وهو الاسدير ماكنتاير Alasdair Macintyre يرى ضرورة فهم الفضيلة اجتماعيًا، ففضيلة الشجاعة مهمة، ليس للأفراد فحسب، وإنما لدعم وتقوية الأسرة والمجتمع ككل[١].

كذلك هناك بعض الآراء التي ترى الكونفوشية قائمة على فهم الأشخاص من خلال أدوارهم المختلفة، ومنها الدراسة التي (قام بها هنري روزمونت Henry Rosemont، وروجر آميس Roger Ames) والتي ترى في الأخلاق الكونفوشية نوعًا من الأخلاق اطلقت عليه "أخلاق الدور الكونفوشية" كبديل للنظرية الأخلاقية، وترى أننا اليوم في حاجة أن نفكر جيدًا في تبني النهج الكونفوشي في الأخلاق. وأخلاق الدور هي رؤية محددة للبشر كأشخاص علائقيين من خلال الأدوار التي يعيشونها وليس كأشخاص فرادى، وتقوم على الأسرة أولاً، وعلى الدور التقليدي الذي يؤديه كل فرد، والإنسان يتشكل من خلال حياته المستمرة في الأدوار[٢]. فلا توجد ذات أو نفس أو فرد منفصل عن عادتنا السلوكية الديناميكية والمعقدة.

ورغم وجاهة هذه النظرة القائمة على تجذر الكونفوشية في الواقع المعيش، فإنني أرى فيها نمطًا من أخلاق الفضيلة أكثر من كونها أخلاق الدور، واستند في رأي هذا إلى بعض أقوال كونفوشيوس التي وردت في المختارات، والتي تؤكد هذا.

فعلى سبيل المثال، يقول كونفوشيوس (١٢-١) عندما جاء إليه يان يوان وسأله عن "الرين" أجابه بأنه أخذ النفس بالشدة والحزم حتى تروض، فعلى الإنسان بنفسه، بعزم إرادته الفردية، فهي أمور لا تنفع فيها نصرة أو مدد[٣]، وفي موضع آخر من المختارات يقول كونفوشيوس: "إذا قمت بقيادة الناس بقوة القانون، ... والعقوبة، فإن ذلك قد يجبر الناس على اجتناب الرذيلة، لكنه لا يقنعهم بفداحتها، ولا يبغضها في نفوسهم، أما الموعظة بمكارم الأخلاق، والتهذيب بالحض على محامد السلوك، فيوقد الخشية في القلوب ... ويقود النفس بزمام إرادتها طائعة مختارة إلى أزكى المثاب" أي لم يكن كونفوشيوس مهتم بالفعل فحسب لكن بالفاعل الأخلاقي[٤]. وهو ما أشار إليه العديد من الباحثين الذين قدموا أبحاثاً ومقالات تؤكد أن المختارات لكونفوشيوس هى شكل من أخلاق الفضيلة Hamburger (1956), Wilson(1995), Slingerland (2001) .

(1) Yong Huang: op. cit., p. 288.

(2) Stephen C. Angle: "*The analects & Moral theory*", p. 8-9, 35.
C. F. Yong Huang: op. cit., p. 289.

(٣) كونفوشيوس: المحاورات، الباب ١٢، فصل ١، ص ١٠٣.

(٤) المصدر نفسه، الباب ٢، الفصل ٣، ص ٢٩.

النتائج

يمثل كل من بوذا وكونفوشيوس مثالاً لمجتمعين تطورا في اتجاهين مختلفين، وكانا غير راضيين عن مسارهما. ومن ثم، وضعا مسارات مختلفة للتقدم الروحي فلقد واجه بوذا مجتمعًا مستغرقاً في الممارسات الفيدية التقليدية، وكان يعتقد أن التأثير الطاغي لتلك الطقوس يمثل عائقًا أمام التقدم الروحي، ومن ثم دعا إلى محاولة الإنسان لاكتشاف ذاته الحقة من خلال التأمل الذاتي، أما كونفوشيوس فقد عاصر تفكك الروابط الاجتماعية في مقابل ازدياد الفردية، ولقد أعلن أسفه لفقدان المجتمع أعرافه وتقاليده، ورأى ضرورة أن يكون هناك ارتباط دائم مع الماضي لتحقيق هذا التقدم الروحي، ورغم اختلاف بوذا وكونفوشيوس فى نقاط عدة تتصل بفلسفتهما الأخلاقية، فإنهما أيضاً قد التقيا فى نواحى أخرى، أهمها تأكيدهما على الأخلاق وإمكانية تهذيب الطبيعة البشرية، وكذلك تأكيدهما على أخلاقيات التسامح واللاعنف والتعاطف، أما النتائج التى توصل إليها البحث وكانت بمثابة الرد على ماسبق طرحه من تساؤلات، فهى على النحو التالى:

١- تُعد فلسفة الأخلاق عند كل من بوذا وكونفوشيوس ثورة على النظام الاجتماعي السائد في عصرهما، والذي كان قائمًا على التراتب الهرمي الطبقي بين الناس، وقصر الأخلاقيات والفضائل على طبقات بعينها، بينما حرم منها الآخرين بحجة أنها- أى الفضائل- نابعة من طبيعة الإنسان الخاصة. لذا قدم بوذا أفكارًا أخلاقية تناقض البراهمانية والتي جعلت الفضيلة وقفًا على رجال الدين والمحاربين، وحرمت الطبقتين الأخريتين (التجار، الزراع، والعبيد)، منها، انطلاقًا من عدم إمكانية إحرازهما لها، فالفضائل غير مكتسبة ولا يمكن تعلمها والسعي لها. أما بوذا فقدم مسلكًا روحيًا أخلاقيًا، يمكن للمرء من خلاله أن يحرز الفضائل جميعها حتى يصل إلى النيرفانا، وكذلك هي الحال عند كونفوشيوس الذي جعل النبل متاحاً لجميع البشر ممن يتحلون بفضائل الجين والاستقامة والولاء البنوى وممارسة الطقوس.

٢- ارتبطت الأخلاق لدى كل من بوذا وكونفوشيوس بمفهومهما عن طبيعة الذات البشرية وحرية إرادتها، وأقرا أن الطبيعة البشرية يمكن تهذيبها وصقلها وترويضها لأنها في الأصل خيرة مستقيمة. وقد أرجع بوذا سبب انحرافها عن الطريق القويم إلى جهل الإنسان بطبيعته الحقة، وبأسباب معاناته وكيفية العلاج من هذه المعاناة، وعندما يحرز الإنسان المعرفة الحقة بهذه الأمور ويسلك مسلكاً أخلاقياً يستطيع تقويم ذاته، أما كونفوشيوس فيرى الناس أخيارًا بالطبيعة وجعل إمكانية الحفاظ على الاستقامة والخيرية فيهما متاحة وذلك عن طريق التعليم

والفضائل الأربع الرئيسة لديه. وهذا هو المقصود "بتثقيف الذات" تلك المقولة المهمة والرئيسة في فلسفة كل من بوذا وكونفوشيوس.

٣- جاء مفهوم الفردية لدى بوذا وكونفوشيوس مختلفاً عنه في الفلسفة الغربية التي تتغنى بفردية الذات البشرية واستقلالها. لكن مفكري الشرق القديم نظروا إلى الفردية من منظور مختلف، فسعادة الفرد واستقلاله – كما هى الحال لدى كونفوشيوس – لا يمكن أن تتحقق بمعزل عن المجتمع وعاداته وعن الآخر المتمثل في العادات والنظم الاجتماعية و السياسية. ومن ثم كانت فلسفة الأخلاق في الشرق القديم فلسفة حياة، ينظر لها الحكيم ولا يكتفي بالتنظير بل يحياها و يسلك المسلك الذي أقره في فلسفته، بالفعل، ولا يتحقق هذا إلا في سياق المجموع، فالإنسان كائن أخلاقي اجتماعي بطبعه.

٤- هناك جدل كبير حول طبيعة الأخلاق لدى كل من بوذا وكونفوشيوس، فالبعض يرى فيها نوع من الأخلاق العواقبية التي تهتم بنتائج الفعل على الفاعل، وربما كان المبرر وراء هذا الاعتقاد، هو بعض المبادئ التي أقرها الفيلسوفان، مثل مفهوم الكارما والنيرفانا عند بوذا فالبعض رأى فيها ما يمكن أن نطلق عليه أخلاق الدور، وذلك بسبب تأكيد كونفوشيوس على ضرورة أن يتوافق الاسم مع المسمى، وكلٌ يقوم بدوره كما ينبغي. لكن ربما يكون الوصف الأكثر ملائمة للأخلاق البوذية والكونفوشية، هو أنهما يمثلان أخلاق الفضيلة، تلك الأخلاق التي لا تهتم بالفعل وكونه صالحًا أم فاسدًا، بقدر ما تهتم بالفاعل نفسه، وترى أن الفضيلة مطلوبة لسعادة هذا الفاعل، وغير مرتبطة بأية عوامل خارجية.

قائمة المصادر والمراجع

- **المصادر والمراجع العربية:**

- أبو الفتوح (هالة)، **فلسفة الأخلاق والسياسة، المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠.
- توملين (أ. و. ف): **فلاسفة الشرق**، (ترجمة: عبد الحميد سليم)، مراجعة، علي أدهم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.
- كارس (جيمس. ب)، **الموت والوجود، دراسة لتصورات الفناء الإنساني في التراث الديني والفلسفي العالمي**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨.
- كريل (هـ. ج.): **الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج**، (ترجمة: عبد الحميد سليم)، مراجعة، علي أدهم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١.
- كولر (جون): **الفكر الشرقي القديم**، (ترجمة: كمال يوسف حسين)، مراجعة، إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥.
- كونفوشيوس، *"المحاورات"*، منشور في كتاب **الكتب الأربعة المقدسة**، (ترجمة: محسن سيد فرجاني)، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩.
- مجموعة مؤلفين: **الفلسفة الأخلاقية، من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء**، إشراف وتحرير: سمير بلكفيف، دار الأفاق، الرباط، ٢٠١٣.
- المرزوقي (جمال): **الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١.
- مهرين، (مهرداد) : **فلسفة الشرق**، ترجمة: محمود علاوي، مراجعة: عبد الحميد عبد المنعم مدكور، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣.
-

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية:

- Angle (Stephen), "*the Analects & Moral theory*", in Amy Olberding, ed, *Dao Companion to Analects*, art in, **Confucian Ethics: A comparative study of self, Autonomy & Community,** *Cambridge university press*, 2004.
- Ader. J, Confucius and Human Nature, Parkland College, 2012.

https:// spark.parland.edu>… متاح على الرابط

- Cakelet (Brad Ford), "Confucianism, Buddhism and virtue ethics" art in, *European Journal for Philosophy of Religion* 8/1, spring, Druk, 2016.
- Fink (Charles), "*the cultivation of virtue in Buddhist Ethics*", art in, ***Journal of Buddhist Ethics,*** Vol (20), 2013.

http://blogs.dickmson.edu/Buddhistethics متاح على الرابط

- Huang (Young): "*Why Confucian Ethics is virtue Ethics*", art in, ***Journal of Chinese Philosophy***, Vol 47, issue 3-4, December, 2020.

.. http://doi.org/10.1111/1540-6253-12409 متاح على الرابط

- Radhakrishnan: **Indian Philosophy**, Vol (1), George Allen, London, 1966.
- Remon, J. P., **Self & Non self in early Buddhism,** the Hague Pari, New York, 1980.
- Richard (Hayes), "*Buddhist philosophy, India*", art in, **Routledge Encyclopedia of Philosophy**.

https://www.rep.Routledge.com7sectionhumannature متاح على الرابط

- Roy (Nirupama), "*Ethical philosophy of Buddha: A study*" **International Journal of Multidisciplinary education**. Research, sucharitha publication, India.

Dol: http://ijmer.in.doi./2022/11.04.157 متاح على الرابط

- Sarma (Sikha): *"Ethics in Buddhism: A philosophical Retrospect of Gautama Buddha in the context of Modern society*", art in, ***Journal of Survey in Fisheries Sciences*, (10).**

_ Shankaran .K.P: The Buddha as philosopher
http://www.soka.ac.jp>files متاح على الرابط

- Smart, N., "*The Buddha*", art in, **the companion Encyclopedia of Asian philosophy**, Routledge, London, 1997.